



سقطت في الانتخابات...

تأليف الأستاذ حنفي محمود جمعه

بقلم الأستاذ صديق شيبوب

—>>><<<—

لا أدري ، أواسى الأستاذ حنفي محمود جمعه لفشله في الانتخابات أم أهنته لأجله . أما المؤاساة فللجهد الذي بذله ولم يشعر ، وللمال الذي أنفقه ولم يفد ، وللآمال التي عقدها حينما فتبدت . وأما التهنئة فلأنه خرج من المركة الانتخابية التي خاض غمارها في أواخر سنة ١٩٤٤ بكتابه الناجح « سقطت في الانتخابات ^(١) » ولولا فشله في تلك الانتخابات لما كتبه ، فلمله كان يتحرج من كشف النقاب عن دخالها ، وعمما يجرى فيها من أمور مخالفة للقانون ، وعن الرسائل التي يتذرع بها المرشحون للفوز ، وعن الوسطاء من المرتزقة الذين ينتهزون الفرصة ليبتزوا مال المرشح . وعن الناخبين من الجهال الذين يتقاضون ثمن أصواتهم ، وعن رؤساء النقابات ومشايخ الحارات الذين يقدمون عددا مميئا من الناخبين ... إلى غير ذلك مما تجده مفصلا في الكتاب .

وقد عرف الأستاذ حنفي محمود جمعه كيف ينسق الحوادث وكيف يرويها حينما في سذاجة مقصودة ، وكيف يحللها أحيانا في تفكير صحيح مستقيم ، وكيف يستخلص طورا العظات البالغة من تقلباتها ، وكيف يترك طورا للقارىء أن يتولى بنفسه استخلاص تلك العظات .

والحق أن الكتاب مليء بالدروس القيمة التي يجب أن نتدبرها لأنه يعالج ناحية هامة من حياتنا القومية ، ويقدم صورة

(١) طبع مطبعة الغرب ، ونفع في ١٨٤ من القطع المتوسط ، وفتحه عمرون قريشا .

ملموسة للانتخابات التي تجرى بين ظهرائنا ، ويصف العوامل المحلية التي تؤثر فيها . ولا شك أن العوامل التي تؤثر في الانتخابات متعددة الوجوه متبدلة الأنواع ، تختلف باختلاف البيئات والبلدان والشعوب .

ويكفي أن نعرف أنها عند جميع الأمم تكلف مبالغ باهظة من المال لنقدر تلك العوامل الكثيرة ، فالإعلانات والحفلات والرحلات وما إليها من أنواع الدعايات التي تستدعي نفقات طائلة لا يستطيع أن يتكبدها جميع الناس أو جميع الأحزاب .

فإذا مجاوزنا هذه العوامل المادية إلى العوامل الأدبية والاجتماعية اضطرنا الحديث إلى التنويه بعقبات المرشح التي يجعله محبوبا من ناخبيه مرغوبا فيه ، وإلى الإشارة إلى نفوذه في الدائرة التي يتقدم فيها وعصبيته وجاهه ... كل هذا يجعلنا على التقرير بأن الانتخابات التي تبدو جرة لأول وهلة أي أنها حرة من تدخل السلطات الحاكمة وفرض نظرياتها وأغراضها على الناخبين تظل خاضعة لمؤثرات خارجية واسعة النطاق ، ولعوامل مختلفة يصعب تحديدها ويجعلنا نمنى في بعض الأحيان بالتفاوت بين النائب وبين المهمة القومية التي يضطلع بها ...

فإذا عدنا إلى العوامل المحلية ، وجدنا أن بمصر قلما يقبل المقلاء على الانتخاب لسبب ذكره المؤلف ، ولا شك أن الروى القومى يزداد انتباها بنسبة زيادة المعلمين وأخذهم أنفسهم بالواجب الذى عليه عليهم هذا الروى بأن يتقدموا لسناديق الانتخاب ، وأن يفهموا أن ذلك فرض قومى لا مناص لمواطن حرى بهذا الإسم من تأديته .

ولا أريد أن أطيل الحديث في هذا الباب مما يوحيه كتاب الأستاذ حنفي محمود جمعه ، ولكنى أردت أن أشير إلى العيوب التي تفترض الانتخابات لتداركها وإصلاحها .

فإذا عدنا إلى ما في الكتاب وجدنا أن الصورة التي يجلوها للحوادث كاملة في مجموعها طيبة التناسق بين أجزائها حتى ليصح أن نقول إن كتاب « سقطت في الانتخابات » قصة من أجل القصص لا تنقصها قوة البناء وجودة الربط بين الأجزاء ومتانة التأليف . وهو أيضا قصة من قصص المنازمات فيها الأخذ والرد والكر والفر ، والصراحة والحيلة . وفيها تحليل لشخصيات عديدة ممن لقيهم المؤلف ، ومن عرطوا عليه خدماتهم ، ومن

واقع الحياة من المفامرات ما لا يصل إليه خيال القاص البارع .
كان يتراوح في ذهني وأنا أطالع هذا الكتاب ذكري
الجهاد الأدبي الذي حمل رايته بالاسكندرية نغر من الشباب في
أوائل عهد « جماعة نشر الثقافة » أي منذ أكثر من اثنتي عشر
سنة أو يزيد . وقد تخلف البعض بعد ذلك منصرفين إلى أعمالهم
واستمر البعض الآخر بحكم المهنة ، وعرف غير هذين الفريقين
كيف يوفق بين عمله وبين الاشتغال بالأدب . وكان ولا يزال
من هذا الفريق الأخير الأستاذ حنفي محمود جمعه ، فهو المحامي
الذي تقدر مواهبه دائر القضاء وتظهر مهارته في جلسات المحاكم
وهو كذلك الأديب المتمكن الذي كانت له جولات موفقة في
الأقصوصة ، والذي كانت له مكانته بين زملائه من أعضاء تلك
الجماعة . ويعرف أخصاؤه أنه ظل مخلصا للأدب ، وفيما
لأصدقائه الأدباء ، ولا أدل على ذلك من كتابه : « سقطت
في الانتخابات » ، الذي تجلى فيه روح الأديب ، وإحساسه ،
ودقة ملاحظته ، وصدق حكمه على الناس ، والحوادث . وإذا
كان من السهل على الإنسان أن يلاحظ الحوادث في دقة
واتباه إذا شاهدها عن كسب مشاهدة الرائي المستقل عنها فانه
من أصعب الصعاب أن يحسن الملاحظة ، وأن يخلص في الحكم
على الحوادث إذا خاض غمارها بنفسه ، وكان من أشخاصها
أو أبطالها كما يقولون . وفي هذه الحال قلما يستقيم صدق الاحساس
ودقة الملاحظة إلا للأديب الذي تعود ذلك أي الذي تعود أن
يتجرد من نفسه ، ويتخلص من شعوره وأنايته .

وهذا ما فعله الأستاذ حنفي محمود جمعه في كتابه « سقطت
في الانتخابات » فهو يروي ما له وما عليه ، ويتندر من نفسه
ومن غيره وهو نوع من الفكاهة المستلحة التي يسميها الإنجليز
(هيويمر) ويسير في سرد الحوادث متنقلا في كثير من اللباقة ،
بين السداجة والطرافة والبراعة ، وبعد : ألم أكن صادقاً في حيرتي
بين مواساة الصديق الأستاذ حنفي محمود جمعه لفشله في الانتخابات
وبين تهنئته لهذا الفشل وقد أفاد الأدب بكتابه الطريف ، ونبه
إلى نقص في الحياة الاجتماعية والقومية ..

أما مواهبه الأدبية ، وبراعته الفنية ، واطراد أسلوبه
وسلاسته ، فأنها مزايًا ظاهرة يتبينها كل مطالع كتاب « سقطت
في الانتخابات » وهو كتاب قيم جدير بالتقدير والتناء .

صبري شبيب

قصد إليهم ، وكل هؤلاء من طبقة الشعب ، القليل منهم من
انصاف التملين وأغلبهم من الجهال ، وفيهم المخلص والمساكر
والمحتاج ، وفيهم ترى الحرب الجاهل ، وفيهم النغمي المتقلب ،
وفيهم الزعيم الذي يحتاج لملائة السلطات المحلية لتدعيم نفوذه ،
وفيهم « الفتوة » الذي يبنى الشعب للشعب ، ويدع شجاعته
وبأسه في خدمة من يدفع ثمنهما .

وفي الكتاب صور شتى للتفكير الشعبي الساذج وهو
أحيانا تفكير سليم . فهذا أستاذ بمدرسة أهلية يعلم تلاميذه
المتناف بحياة المرشح الذي يؤيده ، لأن من عادة الصغار أن
يرددوا في منازلهم الأناشيد والتهافتات التي تعلموها بالمدرسة ،
وهكذا يؤثرون على آباءهم وذوي قراباتهم . وكذلك يطوف
صبية يوم الانتخابات هاتفتين لأحد المرشحين ليؤثروا في الناخبين
الأميين الناهيين إلى الانتخاب فيؤدوا صوتهم للاسم الذي تردد
بآذانهم وعلق بأذهانهم في آخر لحظة ، وتسير حوادث القصة
في لين وهوادة ، فن تفكير في الترشيح ، إلى دفع تأمينه ، إلى
خرض المرحة الانتخابية ، وهي مرحة كلامية في الخطب التي
تلقى ، وفكرية في تدير وسائل السعاية ، ومادية من حيث
إنفاق المال وبذله عن سعة ، وواقعية من حيث تحدى المزاحين
وإثارة الشعب عليهم وعلى أنصارهم ... إلى غير ذلك مما كان يثور
الأستاذ حنفي عليه في دخيلة نفسه ، لأنه محام ومن رجال القانون
الذي يأبون إلا ما يسيغه ، ولكنه كان يضطر مرغما إلى الخروج
عليه تحت تأثير أنصاره وردا لملات منافسيه . ولعله كان يكثر
من إلقاء الخطب لأنه قد يدير عليها بحكم مهنته ، وقد شاء أن
يتحدى مزاحيه في هذا المضمار ، فنشر في الصحف يدعوهم إلى
النزال فيه (تناولوا اخطبوا إذا قدرتم واعرضوا معي صحائفكم وما
أنتم بقادرين) ولكنه ظهر بعد ذلك أن الأصفر الرنان في تعبير
القدماء ، وأوراق النقد المتداولة بلغة هذا الزمان ، أبلغ حجة
وأجلى بيانا من بلاغة النطق وفصاحة اللسان .

وفي كتاب « سقطت في الانتخابات » غير هذا وذلك من صور
سكندرية شعبية بمجة استطاع المؤلف أن يبرزها في الإطار الخليلق بها .
هذه العناصر التي عددناها تجعل من كتاب « سقطت في
الانتخابات » قصة كاملة كما قلنا ، قصة مقامرات واقعية لأنها
مستمدة من صميم الحياة ، وقد عاش المؤلف حوادثها ، وعاش
أمثالها غيره من زملائه الذين رشحوا أنفسهم في الانتخابات . وفي